

والدلافين والسمكة الخنم أيضا ، فيقوى روحه وينعشها بأحاديثه وآماله المعقودة على تحقيق الانتصار على السمكة . ويقوى جسمه بإجباره على التهام كل الطعام الموجود معه ، حتى تلثم جروحه ، ويتحمل كل آلام الظهر التي تسببها له السمكة في معركة شد الحبل بينها ، معركة الحياة والموت .

ويصف هيننجواي ضخامة السمكة بأنها أطول من زورق العجوز بقدمين . وقدر العجوز بذكائه أنه لا يقوى مع حباله على التصدي لها بقوته المحدودة ، ولكن يمكنه ذلك بمهارته في جذب الحبل وإرخائه ، وأنه يجب عليه أن يتغلب على ضعف يديه وتقلصاتها التي يصمم على فكها حتى تقوى على التحكم في الحبال . إنها معركة وهي ككل معاركه سبيل لتحقيق ذاته وإثبات مهارته وتفرده وتفوقه على غنائه ومتاعبه وجراحه . ومن ثم يرجع هيننجواي ، بأسلوب الارتداد للماضي ببساطة وبدون افتعال ، إلى ذكريات القوة في شباب العجوز ، فتلك إحدى وسائل العجوز للاستعانة بماضيه وتاريخه على تقوية موقفه ، عندما يوقن العجوز أن المعركة كلها تدور حول روحه وتصميمه على المقاومة ، فإنه يرجع بذكرياته إلى معاركه السابقة على الشواطئ مع البحارة في ألعاب اختبار القوة التي طالما انتصر فيها بقوته الشابة ، المولية ، وحقق ذاته واستحق أن يسمى بالبطل ، وتشد هذه الذكريات من أزره فيتمكن من اصطيد دلفين لطعامه ويضعه في قاع قاربه مؤمناً طعامه ليوم وليلة مؤكداً أنه أحرز تفوقاً على السمكة بنجاحه في تأمين طعامه وتموينه . فيذبح الدلفين ويتناول بعضاً من لحمه النيئ ثم يخلد إلى الراحة على حين كانت حبال السمكة ملتفة حول وسطه حتى يعطى جسمه الراحة وذهنه التوقد ، موقناً من أهمية يقظة فكره وتوقد ذهنه .

ولكن هل تدعه السمكة الضخمة للراحة إنها لتثب وثبات عالية فوق مياه المحيط محاولة التخلص من قيودها والانتصار على خصمها بقلب زورقه غير أن العجوز يتبته ويرى الحبال للسمكة حتى يمنعها من تحقيق غرضها ، في حين هو يحادث نفسه مؤكداً ثقته في مهارته وقوة تصميمه وتحمله للألم قائلاً : « خير لك أن تتزود بالثقة بذاتك ولا تخف شيئاً أيها العجوز . إنك لا تزال ممسكاً بها . » ثم قال : « لا بأس إن احتمال الآلام من شيم الرجال . » وقال يستجمع عزمه : « لا ينبغي أن أسقط وأفشل وألقى مصرعى أمام سمكة كهذه ، ولا سيما أنها تسعى نحوى الآن سعياً جميلاً ، فليعنى الله على الاحتمال . » ونأجى نفسه : لا تقلص بي والحمد لله وستصعد السمكة حالاً وأننى لا أستطيع أن أصمد لها . يجب أن تصمد أيها